المعهد العالمي للدراسات الاستراتيجية
GLOBAL INSTITUTE FOR STRATEGIC RESEARCH
عضو في جامعة حمد بن خليفة
Member of Hamad Bin Khalifa University

الدين كسلاح جيوسياسي: كيف يُعيد اليمين الأمريكي صياغة نفوذ واشنطن في إفريقيا

منذ عودة دونالد ترامب إلى واجهة المشهد السياسي الأمريكي، عاد الدين ليحتل موقعًا مركزيًا في تشكيل توجهات واشنطن الخارجية، خصوصًا تجاه القارة الإفريقية التي تحولت في الخطاب اليميني المحافظ إلى ساحة روحية لصراع الإيمان ضد الشر.

فلم تعد إفريقيا تُقدَّم كقارة تواجه تحديات تنموية وأمنية، بل كفضاء رسولي يُختَبر فيه الولاء المسيحي في مواجهة التهديد الإسلامي، في عودة رمزية لخطاب التبشير الذي رافق الاستعمار القديم، لكن بثوب جيوسياسي جديد. واستبدل اليمين الديني الأمريكي مقولات الديمقراطية وحقوق الإنسان بلغة الحرية الدينية وحماية المسيحيين المضطهدين، فغدا الدين غطاءً أيديولوجيًا لتبرير التدخل والضغط على الحكومات الإفريقية. وبهذا، أصبحت السياسة الخارجية أداة لإعادة إنتاج هوية الأمة المختارة التي ترى في نفسها مكلفة بحماية المسيحية من خصومها العالميين.

وتحت تأثير هذا التيار، تحوّل الدين من بُعد ثقافي داخلي إلى محدد بنيوي في صناعة القرار الأمريكي. فقد باتت مناطق الصراع في إفريقيا تُقرأ من منظور لاهوتي يرى في العنف تحديًا عقائديًا لا أزمة تنمية أو حوكمة، ونجحت جماعات الضغط الإنجيلية في فرض أجندة دينية على وزارة الخارجية والكونغرس، حيث يُعاد تعريف الدول الإفريقية ذات الأغلبية المسلمة كمناطق خطر ديني، ما أدى إلى قرارات مثل إعادة إدراج نيجيريا في قوائم انتهاكات الحرية الدينية رغم تعقيد المشهد هناك. هذا التديين للسياسة الخارجية لم يَعُد يهدف إلى تعظيم المصالح أو تحقيق توازن القوى، بل إلى تكريس سردية رسالية تضع أمريكا في موقع المنقذ الإلهي مقابل قوى تُقدَّم كأعداء للعقيدة مثل الصين وروسيا وإيران.

وهكذا تحوّل النفوذ الأمريكي في إفريقيا من مشروع سياسي واقتصادي إلى مهمة تبشيرية تقوض الثقة وتُثير مقاومة محلية متزايدة لما يُنظَر إليه بوصفه استعمارًا

دينيًا جديدًا. وتجسّد نيجيريا هذا المنحى بوضوح، إذ تحولت من دولة ذات صراع داخلي معقّد إلى رمز في خطاب اليمين الأمريكي عن اضطهاد المسيحيين. فتهديد ترامب بالتدخل العسكري لم يكن تعبيرًا عن استراتيجية مدروسة، بل استجابة لتيار إنجيلي يرى في التدخل وسيلة إلهية لحماية الإيمان. والنتيجة أن مأساة نيجيريا الحقيقية المتجذرة في الفقر والتهميش وصراع الموارد استُخدمت لتعبئة الناخب الأمريكي المحافظ، بينما جرى تغييب جذور الأزمة الواقعية لصالح سردية دينية مُبسَّطة.

وبهذا، لم تعُد إفريقيا تُعالج كقضية جيوسياسية قائمة على المصالح المتبادلة، بل كرمز يُستخدم في معارك الهوية الداخلية للولايات المتحدة، حيث يُختزَل العالم الإفريقي في مشهد أسطوري بين لمؤمنين والمضطهِدين، وتُستثمر المأساة كأداة انتخابية أكثر منها قضية أمن واستقرار. ويلعب الإعلام اليميني الأمريكي دورًا محوريًا في تكريس هذه السردية، إذ يُقدِّم إفريقيا كمسرح دائم لاضطهاد المسيحيين، متجاهلًا العوامل البنيوية التي تغذي الصراعات.

هذا الخطاب يُعيد إنتاج صورة القارة المظلمة التي تحتاج إلى خلاص مسيحي غربي، ما يضفي على السياسة الخارجية طابعًا أخلاقيًا زائفًا يبرر التدخل باسم الإنسانية، بينما تُستخدم هذه الرواية في العمق لتبرير أجندات انتخابية داخلية وتثبيت رؤية مغلقة تُقصي التعدد وتُعيد تعريف دور أمريكا في العالم كقوة خلاص لا كقوة شراكة.
على الأرض، تُسهم هذه المقاربة في زعزعة الأمن الإقليمي داخل إفريقيا. فخطاب حماية المسيحيين يُغذي خطابًا مضادًا لدى الجماعات المتشددة التي تقدم نفسها كمدافعة عن الهوية الإسلامية، ما يخلق دائرة عنف ديني متبادل. كما يؤدي تصنيف الصراعات الإفريقية كقضايا دينية إلى تعطيل الحلول التنموية وتهميش الجذور الاجتماعية والاقتصادية للأزمات، ويُعيد إنتاج التبعية من خلال ربط المساعدات بالولاء الأيديولوجي لا بالكفاءة أو الحوكمة.
وفي الوقت نفسه، يضع هذا الخطاب واشنطن في موقع الطرف المنحاز دينيًا لا الوسيط الموثوق، ما يُضعف قدرتها على المنافسة أمام قوى مثل الصين وروسيا وتركيا التي تُقدِّم شراكات خالية من الشحنة العقائدية وأكثر توافقًا مع أولويات الدول الإفريقية.
ويبدو أن العلاقات الأمريكية الإفريقية اليوم أمام خيارين؛ إما استمرار النهج الديني الذي سيقود إلى انكماش النفوذ الأمريكي وتنامي مشاعر الرفض، أو تبني مقاربة واقعية جديدة تعيد الدين إلى مجاله الرمزي وتؤسس لشراكة قائمة على التنمية والاحترام المتبادل. فالمستقبل لن يُحسم بالسرديات اللاهوتية، بل بقدرة

واشنطن على استيعاب التحولات الجيوسياسية في إفريقيا التي لم تَعُد تنتظر خلاصًا من الخارج، بل تبحث عن علاقات متكافئة تُعبِّر عن سيادتها وكرامتها. وما لم تدرك أمريكا أن القوة الناعمة لا تُبنى بالإنجيل، بل بالاحترام، فستكتشف أن القارة التي أرادت تبشيرها قد أصبحت مختبرًا لانكشاف حدود هيمنتها الروحية والسياسية.